

## الإنسان المثالي في آثار توفيق الحكيم

فتانة منصورى جمشىدى\*

### الملخص

يعد توفيق الحكيم من اكبر الكتّاب الموفقيين فى الحياة الادبية و الفكرية و الثقافية فى تاريخ الادب العربى الحديث. فهو فنّان الادب و ابوالمسرح فى مصر و العالم العربى، كما أنه من رواد الرواية و القصة فى الادب المعاصر. لقد اهتم توفيق الحكيم بالانسان و الانسانية اهتماما خاصا حيث نشاهد فى أعماله الخالدة عنايته بتربية الإنسان، و ترشيد اخلاقه مما يمهدان لظهور الإنسان الأمثل و الالتزام بالقيم الانسانية. إن هذا التوجه قد طبع اعمال توفيق الحكيم وكل من يمر على اعماله و إن كان مرورا عابرا حيث يجد هذا التوجه بكل وضوح. إن هذا الالتزام تجسد فى أهم صور المفهومية التى برزت فى اعماله مثل الموحد، المتعادل، المتعادل الاجتماعى، المفكر، المعتقد بالروح الشرقية، محب الحرية و غيرها. نحن فى محاولتنا هذه سنحاول جهد الامكان أن نعرف الإنسان المثالى و الكامل عند توفيق الحكيم من خلال أعماله الخالدة.

**الكلمات الدليلية:** توفيق الحكيم، الإنسان المثالى، الروح الشرقى، الحرية، الموحد، المتعادل.

---

\* طالبة الدكتوراه فى اللغة العربية بجامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم و تحقيقات بطهران.

## المقدمة

إن معرفة «الإنسان النموذجي» أو «الإنسان المثالي» من القضايا الساخنة على مرّ التاريخ الانساني، و لقد تعددت الأساليب و الرؤى و النظريات في معرفة الانسان و بيان صفاته الوجودية، و في الواقع أن ميول الانسان و دوافعه الذاتية نحو الكمال هي التي دعتة إلى التعرف حثيثا على الإنسان الأمثل أي الإنسان الكامل.

بعبارة اخرى ان الرغبة في بلوغ الكمال و إزالة النقص و المواصفات السلبية هي التي تدعو الانسان من اعماقه للبحث عن النموذج المطلوب. لذا يمكن القول ان اهتمام الانسان بالتعرف على هذا النموذج، له سابقة تاريخية تمتد إلى ظهور الرغبة و الذوق نحو تحقيق الكمال، الامر الذي دعا الإنسان منذ القدم ليتخذ من الوجودات الميتافيزيقية، و ارباب النوع و الابطال الاسطوريين و احياناً الشخصيات التاريخية قدوة و نموذجاً له بوصفهم مظاهر للإنسان الكامل (نصرى، ١٣٧١: ٤).

توفيق الحكيم كأمثاله من عمالقة الادب و الشعر و الفن و المسرح، اهتم بمسألة الانسان و تعريف الانسان الكامل من خلال ادبه و مؤلفاته الكثيرة، لانه كان رجل المبادئ الانسانية الشاملة، فادبه من الادب الرفيع الانساني و ابطاله اصحاب فلسفه و رأى (الفاخوري، ٢٠٠٥: ٣٩٢).

و لكن هنا سؤال يطرح نفسه: ما هي الأسس التي بحسبها انتخب الحكيم انساناً مثالياً في ادبه؟ عاصر الحكيم في زمنه لفيفا من عمالقة الادب الشعر و الفن و المسرح و ذلك مثل طه حسين، العقاد، احمد امين، احمد شوقي، حافظ ابراهيم، جورج ابيض، سيد درويش و غيرهم من الشخصيات التي ساهمت في اثراء الساحة الادبية و الثقافية آنذاك؛ و التي ساهمت في نضوج مسائل انسانية عامة و دراسة قضية الإنسان بوجه خاص. اما توفيق الحكيم هو الذي يصور العظمة و الفضيلة الانسانية كمثل اعلى فإنه كان كاتباً اجتماعياً و قد عالج الكثير من المسائل الاخلاقية في آثاره. إن توفيق الحكيم كان فنانياً و كان من خلال فنه يعالج القضايا الأخلاقية التي كانت مستوحات من الواقع المعاش فلم يكن طوبائياً.

## خلفية البحث

توفيق الحكيم نفسه و ادبه على الاطلاق عُنى به عناية واسعة فى الكتب الادبية المختلفة عند النقاد المعاصرين، كما جاء فى قائمة المصادر و توجد مقالات و دراسات عدة فى الجامعات حول ما خلقه توفيق الحكيم من آثاره الادبية مثلاً «مسرحية توفيق الحكيم بين القرآن و المعاصرة» لاكمم رخسندة نيا، «ترجمة حياة و آثار توفيق الحكيم» لمرجس قنديل زاده، «توفيق الحكيم الكاتب المشهور» لدكتور غلامعلى كريمى، «مكانة الانسان فى مسرحيات توفيق الحكيم» لدكتور حسن دابخواه و لسيدة فاطمة سليمى، «ترجمة و دراسة مسرحية ايزيس» التى قام بها مهدي مقدسى نيا، كما نرى «دراسة و ترجمة اهل الكهف» لمهدى آخوندى، «الرؤية الدينية و الاجتماعية لتوفيق الحكيم» لدكتور على سليمى، و اخيراً «دراسة مسرحية القطار» لهومن نجفيان. اما اهتم كثير من الكتاب بمسرحياته فقط و أشاروا الى دراسة تحليلية على حسب عناصر المسرحية، اذن الجديد فى هذا المقال، البحث العميق عن ادب توفيق الحكيم و رؤيته بالنسبة الى الانسان الكامل و المثالى، الأمر الذى ما اهتمت به الدراسات السابقة.

و بما أن قضية الانسان تشغل موقعا متميزا فى حياة توفيق الادبية و الفكرية و الاجتماعية و السياسية جميعاً فقد خصصت هذه الدراسة للبحث عن ذلك. و من ثم فقد لقت هذه الصور المتعددة بظلالها على موضوعات ادبه فى مصاديق مختلفة و قبل الخوض فى هذه الصور الانسانية نعرض بشكل سريع على حياته الاجتماعية و العلمية.

## نبذة من حياة توفيق الحكيم و فنه

ولد توفيق الحكيم بالاسكندرية سنة ١٨٩٨ لأب مصرى من اصل ريفى يشتغل فى سلك القضاء و أم تركية(ضيف، لاتا: ٢٨٨)، عندما بلغ السابعة من عمره التحق بمدرسة دمنهور الابتدائية، حتى اتم تعليمه الابتدائى ثم الحقه أبوه بمدرسة حكومية فى محافظة البحيرة حيث أنهى الدراسة الثانوية ثم انتقل إلى القاهرة و أتم بها تعليمه الثانوى و نال شهادة الثانوية البكالوريا و بدأ يكتب حوالى عام ١٩٢٠م. التحق توفيق الحكيم بمدرسة الحقوق بالقاهرة و نال منها الليسانس فى القانون عام ١٩٢٤ و بدأ يتدرب على المحاماة(زغلول السلام، لاتا: ١٥٩٠).

خلال سنوات دراسته بالجامعة اخرج *الحكيم* عدة تأليفات منذ عام ١٩٢٢. بعد أن تخرج من كلية الحقوق ثم سافر إلى باريس للاستزادة من العلم و هناك اتصل بالآداب الغربية و تأثر بها تأثراً عميقاً.

في سنة ١٩٢٨م عاد *توفيق الحكيم* الى مصر ليواجه حياة عملية مضنية، فانضم إلى سلك القضاء ليعمل وكيلاً للنائب العام في المحاكم المختلطة بالاسكندرية ثم في المحاكم الأهلية؛ وفي سنة ١٩٣٤م انتقل من السلك القضائي ليعمل مديراً للتحقيقات بوزارة المعارف ثم مديراً لمصلحة و الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون الاجتماعية. استقال *توفيق الحكيم* من الوظيفة العمومية سنة ١٩٣٤م ليعمل في جريدة اخبار اليوم التي نشر بها سلسلة من مسرحياته و ظل يعمل في هذه الصحيفة حتى عاد من جديد إلى الوظيفة فعين مديراً لدار الكتب الوطنية سنة ١٩٥١م و عندما انشئ المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب عين فيه عضواً متفرغاً. في سنة ١٩٥٩م قصد باريس ليمثل بلاده بمنظمة اليونسكو، لكن فترة إقامته هناك لم تدم طويلاً إذ فضل العودة الى القاهرة في اوائل سنة ١٩٦٠م ليستأنف وظيفته السابقة بالمجلس الأعلى للفنون و الآداب، و قد منحته الحكومة المصرية أكبر وسام و هو "قلادة الجمهورية" تقديراً لما بذله من جهد من أجل الرقي بالفن و الأدب و غزارة إنتاجه كما منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦١م (حمو، ١٩٩٩: ٣٢٨؛ الدالي، بلاتا: ١٣).

خلال حياة *الحكيم* ظهرت لنا الآثار الأدبية المتنوعة سواء كانت القصص، المسرحيات، او المقالات او غيرها. توجه *الحكيم* الى المسرحية فألف ما يزيد على ستين مسرحية ليستحق بذلك لقب رائد المسرح العربي. كتب *توفيق الحكيم* في فنون المسرحية المختلفة مثل مسرح الحياة و المسرح الذهني، و قد تناول في مسرح الحياة جوانب من حياة المجتمع بهدف نقدها و اعادة بنائها. عالج في المسرح الذهني قضايا ذهنية فكرية او مسائل اعتقادية تصويرية او اموراً جدلية فلسفية بأسلوب عقلي تجريدي بعيداً من المحسنات، و ما قدمه من آثاره و تأليفاته كل ذلك انما يدل على اتساع ثقافية و تنوع مواهبه و تعدد ميادين ابداعه (شكري، معنى المأساة في الرواية العربية، ١٩٨٠: ٢٠).

تعد آثار الحكيم من الأدب الانساني الرفيع لانها تعالج القضايا الانسانية الخالدة و هي  
حكمة توفيقية و رمز للفكر الحر، و قلم للادب الانساني الجديد و النموذج الحي في نهضة  
الشرق و أبنائه في مسيرة الأدب العربي نحو كماله الانساني.  
توفى توفيق الحكيم في ٢٩ من ذى الحجة ١٤٠٧هـ / ٢٧ من يوليو ١٩٨٧م عن عمر  
بلغ تسعين عاماً، نعود و نقول بأنه ترك تراثاً ادبياً رفيعاً و ثروة هائلة من الكتب و  
المسرحيات التي مازالت مرجعاً ادبياً للعديد من الاجيال.

### من صور الانسان المثالي في آثار الحكيم

قسم كبير من آثار الحكيم ارتبط بالمسائل الاخلاقية و الاجتماعية، مفاهيم مثل  
الايمان بالله، العدالة، السمو، العظم، العقل و البطش و الافكار المترقية ترتبط بالاخلاقيات  
ارتباطاً تاماً (الحكيم، ٢٠٠٨: ٥٥). ان توفيق الحكيم رجل مسلم؛ نفذ الايمان الراسخ بالله  
تعالى الى اعماق نفسه لذلك فإنه يؤكد على تصوره للحياة الانسانية في إطار الاسلام.  
لقد اعتنى توفيق الحكيم بالاخلاق الفاضلة ايما عناية و حارب الرذيلة و الانحطاط  
الاخلاقي كلما وجد إلى ذلك سبيلاً. يرى الحكيم في تشخيصه لخصائص الانسان المثالي،  
انه من يرى الكون رؤية وجودية و انه يتقبل الاخرين بسيطا، يتمتع بالايشار و التفاني  
يحمل روحاً انسانية، له اسلوبه المميز في المعاشه، يفصل بين الغاية و الوسيلة، له حكمة  
يتصف بليوننة الطبع و البشاشة و التمسك بالقوانين و الآداب أى الالتزام.  
الحكيم يؤمن ببشرية الانسان و يرى عظمته في انه بشر له ضعفه و نقصه و عجزه و  
أخطاؤه و لكنه يوحى إليه من اعلى فهو ليس وحده في هذا الكون. ذلك ان للكون الهه  
يدبر كل صغيرة فيه وفق نظام دقيق فلا يخطئ هذا النظام أبداً و هذا النظام، يصل  
الانسان بربه. فعالم الأرض موصول بعالم السماء فاذا فقد الانسان ذلك الاحساس فقد  
انسانيته ايضاً و أصبح شيئاً آخر (زين الدين، ٢٠٠٦: ٢٢٦).

على أى حال انصبت جهود الحكيم في البحث عن معرفة حقيقة الانسان، و معناه على  
أنه اشرف المخلوقات و افضلها الممثل لعصارة الخلق و صاحب تلك المنزلة السامية التي  
شغل فيها مقام خلافة الله في الارض كما اشار القرآن بقوله: ﴿إِن جَاعِل فِي الْأَرْضِ  
خَلِيفَةً﴾ (البقرة/٣٠). دراسة الانسان المثالي في كل آثار الحكيم و بجميع جوانبه هدف

صعب المنال، يتطلب وقتاً كثيراً لايسعه مجال بحثنا هذا و لاتستوعبه هذه الوريقات، اذن فلننظر فيه باختصار من نواحي:

### ١.الموحد

الايمان هو التعلق النهائي للانسان بالامور المعنوية التى يعتبرها مقدسة، و يكون مستعداً لظهار العشق و الشجاعة لاجلها. الايمان يعنى التوجه إلى الله و الاعراض عن كل ما سواه و هذه صورة تجسد فى آثار الحكيم تجسداً كاملاً. توفيق الحكيم يرى حلول الله فى خلقه كله لا خارجا عنهم بل فيهم و فى عليهم و دنيهم. هكذا نرى الله فى كل شىء حتى فى المتناقضات التى يظن المرء انها على طرفى نقيض لا جسر بينهما. انطلاقاً من هذا الايمان الذى يوحد بين الكائنات و الاشياء و يمزج بينها.

توفيق الحكيم المؤمن و العميق الايمان و ينظر إلى الدين على انه صلة الانسان بخالقه(الفاخورى،٢٠٠٥: ٤٠٣) و منهجه فى تعرف الانسان المثالى، هو المنهج القرآنى و يؤكد ان اول خطوة فى بناء الانسان الكامل هى تزكية النفس و تنميتها و تطهيرها عن الامراض الباطنية و الحقد و الظلمات، اى سيرورة الانسان حقيقة يلائم مظهره الخارجى واقعه الباطنى لا ان يكون انساناً من خارج و مسخاً من داخل. تهذيب الباطن يعنى تطهير الانسان لقلبه و باطنه و ان يسعى فى تنزيهه من الرذائل و السجايا الذميمة. فى رأى توفيق ان الايمان الحقيقى ينور قلب الانسان و فى ضوءه تتكون الملكات الاخلاقية، يقول فى مسرحيته: «الكنز: الكنز الحقيقى هو الايمان الذى يضىء هذا القلب كجوهر نادرة»(انظر مسرحية الكنز).

هنا يبرز دور الاخلاق من خلال دعوة الانسان إلى تكوين الملكات الراسخة فى النفس و من هنا و لكى يتصف الفعل الانسانى بالفعل الاخلاقى، لابد من أن يتوفر فيه شرطان:

١.أن تكون النية لله تعالى

٢.أن يكون صادرا عن ارادة الانسان

تكوين الانسان الكامل بمعنى انه اذا تخلى الانسان عمليا عن جميع الصفات الحيوانية، و ان يصعب ذلك على البشر إلا أنه يوصل لنور الايمان و اليقين عن طريق العلم، فانه

بذلك ينال درجة الايمان الغيبي و العلم العيني و اليقين الحضورى، و يصبح انساناً كاملاً. لقد وصف الحكيم الانسان المثالى خاصة باعتباره القدوة و الاسوة للاخرين (زينتى، ٢٠٠٨). إن الحكيم يرى أن الرسول الأكرم هو أحد أبرز الموحدين الذين توفرت فيهم كل الخصائص التى تذكر للإنسان الكامل. يعتقد توفيق الحكيم ان الرسول الأكرم (ص) مصداق الانسان الكامل و من الواضح ان المسلم الكامل هو الانسان الذى بلغ كماله فى الاسلام، و المؤمن الكامل يعنى الانسان الذى بلغ كماله فى ضوء الايمان. النبى الأكرم (ص) هو الانسان الكامل و معرفة الرسول الأكرم (ص) هى معرفة الانسان الاسلامى الكامل لا من حيث اسمه و نسبه و حسبه و شخصه و هويته بل من خلال معرفة شخصيته. هو النموذج الذى صنعه الله ليكون قدوة لخلق الله فى حركة الحياة، هو الانسان الاعلى لا من ناحية النبوة فقط، بل من النواحي الاجتماعية و الاسرية ايضاً.

لهذا السبب يكتب توفيق الحكيم العمل الفكرى و الهام و هو قصة تمثيلية «محمد(ص)» عن سيرة و نضال الرسول (ص) و يتحدث فيها عن خصائصه الكاملة و عن شخصيته التى تتجلى فيها صفاته الاخلاقية و النفسية (انظر: كتاب محمد(ص))، و فى مسرحية عدو ابليس، يشير توفيق الحكيم الى ان محمداً (ص) الانسان الكامل و فحواها ان هناك حواراً تمثيلاً جرى بين ابليس و عزرائيل بعد انتقال الرسول الكريم (ص) إلى الملا الاعلى (انظر مسرحية: عدو ابليس).

يجد الباحث كتابات و تاملات ابرزها كتاب «تحت شمس الفكر»، «فن الادب»، «الاسلام و التعادلية» و «الاحاديث الاربعة» و القضايا الدينية التى اثارتها و «نظرات فى الدين و الثقافة و المجتمع» و كتابه الضخم «مختار تفسير القرطبي».

يقول توفيق الحكيم فى كتابه «تحت شمس الفكر»:

«ان محمداً قد فهم حقيقة النبوة و وعى معنى الحقيقة العليا و ادرك ان اكبر معجزة فى هذا الكون هى ان لا تكون فى الكون معجزات، و ان كل شى مسيراً طبقاً لنظام دقيق و اذا قبل النظام، قبل القانون و اذا قبل القانون، قبل عقل مدبر و هذا العقل واحد، أحد، تبدو سمته فى ادارة الاجسام غير المحددة فى العظم كما تبدو فى ادارة الاجسام غير المحددة فى الصفر ذات اليد العلوية و عين اثرها فى كل شى يد واحدة لاتتغير و قانون واحد لايتغير، ان محمد(ص) قد تأمل الطبيعة كثيراً ايام عزلته الطويلة فى غار حراء و

فكر ملياً فى نظامها العجيب. فكشف عن بصيرته و بصره فامتلاً قلبه بالله الواحد كما اقتنع عقله بوجوده فجاء دينه ديناً كاملاً صادقاً فى نظر القلب و العقل معاً» (ابوعوف، ٢٠٠٩: ٢٣٥-٢٣٤).

## ٢. المتعادل

يعتقد توفيق الحكيم بالفكرة التعادلية و قصده من التعادل هو الوصول الى التوازن التام. فهو ينظر فى تعادلية الكون و إلى الانسان، النظرة نفسها التى نظر بها فلاسفة اليونان، و هى نظرة تحاول جمع الاضداد فى وحدة و يعتقد بأن حقيقة الكون اضداد تتعادل النهار و الليل، الشتاء و الصيف، الحرب و السلم، الشبع و الجوع، البارد و الحار، الرطب و اليابس، اليقظة و النوم و الحياة و الموت (نجيب محمود، ٢٠٠٨: ٩-٨).

و ايضاً يعتقد بأن حقيقة الانسان اضداد تتعادل: العقل و القلب، العجز و القوة و الخير و الشر. يقول يوسف الشارونى عن تعادلية الحكيم: «تعادلية توفيق الحكيم تقوم على اساس ان الواحد الصحيح صفراً لان الحياة الايجابية تبدأ من العدد».

فكل حركة يجب ان تعادلها و تقابلها بحركة و كل قوة يجب ان تقابلها و تعادلها قوة الله وحده هو الواحد الاحد الكامل بذاته، و مع ذلك اوجد بارادته تعالى قوة الشيطان، كى تبدأ الحياة البشرية فى التلون و التحرك، الارض مدينة لوجودها و نحن بدورنا مدينون بوجودنا فوقها إلى تعادل جاذبية الشمس مع قوة الطرد المركزية الناتجة من دورانها حول الشمس، اذا اختل هذا التعادل ابتلعتها الشمس او ضاعت فى الفضاء (ابوالنجا، مجله العربى: ١٩٩٩) يعتقد الحكيم ان التركيب الروحى للانسان يمكن ان نسميه الفكر و الشعور او بعبارة اخرى العقل و القلب، و الحياة الروحىة السليمة هى ايضاً تعادل بين الفكر و الشعور. و ما يطلق عليه وصف الامراض العقلية و العصبية ما هو الا اختلال فى هذا التعادل.

يعتقد توفيق الحكيم على اساس هذه الفكرة: «أنه ازمة الانسان فى هذا العصر هى عندى نتيجة الاختلال فى تركيبه التعادلى» (الحكيم، ٢٠٠٨: ٣٤).

فالانسان اذن كائن متعادل مادياً و روحياً و يعلن الحكيم ان التعادلية بهذا المعنى الذى يقدمه مذهب يقاوم الضعف و العجز و النقص و القبح لأنها تؤمن بوجود قوى معوضه

موازنة اى معادلة. و تعلن طريقة واضحة للمقاومة، هى نهوض الانسان فرداً او شعباً للكشف عن القوى المعوضة و المعادلة فيه و اظهارها و تنميتها(نفس المصدر، ٢٠٠٨: ٣٦-٢٦). يبين /الحكيم هذه القاعدة التعادلية بين الايمان و العقل ، العقل و القلب و القدرة و الحكمة و غيرها.

على هذه القاعدة الاساسية- قاعدة التعادل بين الايمان و العقل - يستأنف /الحكيم حديثه عن حرية الانسان؛ ان الانسان حر الارادة حرية تتدخل فيها القوى الكونية المجهولة و اذن فهى لا اختلاف عليها بين عقل و ايمان. ارادة الانسان فى كفة تعادلها الارادة الالهية فى كفة اخرى و العقل البشرى فى كفة يعادله الايمان فى كفة و بهذا التعادل بين القوى يعيش الانسان و يسوق المؤلف لمثل هذا التعادل امثلة من «اهل الكهف»، «شهرزاد» و «سليمان الحكيم».

كما نرى فى «اهل الكهف» قضية صراع الانسان مع الزمن بعبارة اخرى صراع بين الجيل القديم و الجيل الجديد(موافى، ٢٠٠٠: ١٠٦). يتمثل الصراع الدرامى فى هذه المسرحية صراع اهل الكهف ضد الزمن من اجل الحياة و الحب، كما يحيل النص الى صراع دينى الا و هو صراع الايمان(اهل الكهف) مع الكفر و الوثنية(دقيانوس). كما ان هناك صراعاً رمزياً تعكسه الشخصيات و هو تقابل العقل(مرنوش)مع القلب(مشيلينا)و الحواس(يمليخا)(عزالدين اسماعيل، ١٩٨٠: ٢٢٥).

ولكن يبقى الصراع ضد الزمن هو المحك الدرامى لهذه المسرحية، بقول مشيلينا:  
«الى يا مرنوش.....يا يمليخا.....انا لانصلح الحياة.....انا لانصلح للزمن.....ليست لنا عقول.....لانصلح للحياة»(الحكيم، ١٩٨٤: ٩٧).

ويبدو هذا المشكل واضحاً عندما يطرح الحب و الغرام بين مشيلينا و بريسكا و يصيروهما مستحيلاً و سراياً قاتلاً بسبب عائق الزمن الوجودى، و هذا ما يؤكد مشيلينا لبريسكا:

«نعم.....نعم.....الوداع! يا.....يا.....لست اجسر! الان ارى مصيبتى و احس عظيم ما نزل بى. لامرنوش و يمليخا رزناً بمثل هذا.....عن بينى و بينك خطوة.....بينى و بينك شبه ليلة.....فاذا الخطوة بحار لا نهاية لها. و امد يدى اليك و انا اراك حية جميلة امامى فيحول بيننا كائن هائل جبار: هو التاريخ، نعم، صدق مرنوش.....لقد فات زماننا و نحن

الان ملك التاريخ.....و لقد اردنا العودة الى الزمن و لكن التاريخ ينتقم.....«الوداع»(المصدر نفسه:٩٨).

كما ان هذا التعادل ايضاً و اختلاله بين الفكر المطلق ممثلاً فى شهريار و الايمان العاطفى ممثلاً فى قمر متحركاً فى اطار مشكلة المكان، و دورته كان موضوع مسرحية «شهرزاد»، و فى رؤيته الانسان الكامل هو الذى يتعادل و يتوازن بين ابعاده الوجودية.

كان شهريار فى المرحلة الحيوانية الجسدية ابتداءً و بعد ان جاوز المرحلة الحيوانية الى المرحلة العاطفية القلبية اصبح رمزاً للعقل و المعرفة، و لكن لم ينتصر لانه يحس صراعاً بين قوة العقل و قوة القلب، فهو رمز انسان اختل فيه التعادل و ترك آدميته و يتخلى عن متطلبات الجسد و القلب و لكن ينبغى ان يتعادل و يتوازن بين ابعاده الوجودية و ان يقوم الانسان بين الفكر و الايمان العاطفى و الجسم. قال شهريار:

«لن اعود الى جسدك الجميل.....لن يسكرنى ريق ثغرك و نفح شعرك و ظمات ذراعيك.....شبع من الاجساد، شبع من الاجساد، شبع من الاجساد، لا اريد ان اشعر، كنت قبل أشعر و لا اعى.....اليوم انا اعى و لا اشعر كالروح.....اريد ان اعرف».

و تعادل بين القدرة و الحكمة و ثباته و اختلاله موضوع مسرحية «سليمان الحكيم». الانسان الكامل فى رؤية توفيق الحكيم فى هذه الآثار هو الانسان المتعادل الذى ليس صراع بين قواه، و متعادل بين قوة العقل و قوة القلب أى بين نشاط التفكير و نشاط الايمان(نفس المصدر، ٢٠٠٨: ٣٣).

### ٣. المتعادل الاجتماعى

يطبق توفيق الحكيم فكرة التعادلية فى ميدان علم الاجتماع كما طبقها فى الميادين المختلفة، فيجىء التطبيق هنا على صورة التضاد بين الفكر و العمل تضاداً لا بد ان ينتهى إلى التعادل بينهما. فى رأى الحكيم يجب على المجتمع الاسلامى ان يلتزم بالعدل حتى يغطى الاعتدال العام و الجامع الشامل جميع الافراد فى هذا المجتمع(نجيب محمود، ٢٠٠٨: ١٦).

فقدان العدالة الاجتماعية في الدنيا المعاصرة يجرح قلوب ابناء البشر المشفقين على الانسانية لأننا نشاهد أناساً على كرة الأرض، ينتحرون من فرط الترف و الرفاهية طوال حياتهم من الميلاد حتى زمن الموت و نشاهد أيضاً أمماً اخرى لاترى فى حياتها أدنى رفاهية حتى فى سويغات قليلة طول عمرها.

للحكيم اعمال عديدة تناقش مشكلة العدل و السلام فى المجتمع. و اما أهم آراء الحكيم الاخلاقية التى بلورها فى فصل العدل و السلام فى آثار كشاعر على القمر «صلاة الملائكة»، «يوميات نائب فى الأرياف»، «براكسا و مشكلة الحكم»، «الطعام لكل فم»، «سلطان الحائر»، «لعبة الموت»، «اشواك السلام»، «عصفور من الشرق»، «أيزيس»، «من ذكريات الفن و القضاء» و غيرها.

إن الانسان المثالى فى هذه الآثار المذكورة هو انسان يرى ان الجشع و روح الشر و العدوان تسيطر على الارض و يرى فقدان العدالة الاجتماعية فى الدنيا و يريد ان يخلص من ذلك كله حتى يسود العدل كوكب الارض و السماء. يصور توفيق الحكيم من خلال مسرحية «صلاة الملائكة» فقدان الانسانية، العاطفة و الابعاد المعنوية للانسان فى العالم الراهن و يشير الى الأزمة الانسانية فى العالم المعاصر و يشجع الانسان على الرحمة و العدالة و الصلح و السلام:

«الملك: انّ بغيتى ان اراك فى خير!.....هلمى نسير!.....ما اجمل الارض لو استطاع الانسان فيها ان يبصر و ان يحب، و ان يجعل الرحمة تتدفق من نفسه تدفق الماء من هذا الجدول!!.....»

الفتاة: انظر ايها الصديق!.....هذا الطير الاخضر الذى يرد ماء الجدول!.....انّ بجانبه ارنبا وحشياً.....اتراه؟.....انه خلف العشب.....انه يشرب هو الآخر.....كأنهما صديقان!.....  
الملك: نعم.....نعم!.....»

الفتاة: اسمع.....الآن و قد احتسى الطير من كأس النهر، ها هو ذا يفتح منقاريه و يغرد!.....»

الملك: و هذا الارنب لم يقفز، و لم يهرب.....انه اعتاد الاصغاء الى صديقه انظرى الى اذنيه، و قد تفتحتا، كأنهما زنبقتان، و عينيه قد لمعتا كأنهما فيروزتان!!.....»

الفتاة: أتدرى ماذا يقول هذا العصفور؟....الملك: لايمكن ان يكون فيما يقول غير الخير و السلام، و الأمل!«(الحكيم، ١٩٩٥: ٢٩٨).

ان الانسان المثالى فى هذه الآثار يطلب العدل و السلام فى الارض حتى على سطح القمر و يقول انها صرخة فوق ارضنا الملوثة بالظلم و الدم و فوق القمر النقى الطاهر حتى الآن و هو يرقب فى خشية و رجاء قدم الانسان(انظر: مجلس العدل).

كما فعل توفيق/الحكيم فى «اشواك السلام» التى يستهدف فيها السلام العالمى و الاشواك التى تقوم فى سبيله. فاتخذ من الانسان بين الافراد و المجتمع الواحد و الاشواك التى تقوم فى سبيله رمزاً و شبيهاً للسلام العالمى؛ أقام جسراً بين المجالين من احدى شخصيات المسرحية و هى شخصية شاب نابه يعمل فى السلك الدبلوماسى و قد اعد مذكرة ضافية حارة للدفاع عن السلام و تعبيد سبله فى مؤتمر دولى كلف بالاشتراك فيه، و بالرغم من امله القوى فى أن تحدث مذاكراته أثراً طيباً فى المؤتمر نرى جهده يتبدد ادراج الرياح نتيجة للحذر بل سوء النية المتبادلة عند ممثلى الدول الكبرى التى بيدها تقرير السلام او تقويضه لكن يوحى لنا المؤلف بمايراه من اسباب هذا الحذر و سوء النية المتبادلين. ادخل نفس الشخصية فى قصة خاصة تكشف عن الاشواك فى حياة الافراد لنقيس عليها الاشواك التى تبث فى حياة الدول و فى علاقات السلام التى يجب ان تقوم بينها لمصلحة الجميع و لخير الانسانية كلها( مندور، لاتا: ٩١).

قسم كبير من مسرحية «سميرة» و حمدى يرتبط بالمسائل الاخلاقية و الاجتماعية، فهناك مفاهيم مثل العدالة، تحطيم جوع و يرى توفيق/الحكيم فى الآثار الأخرى ان يتوجه إلى هذه المسألة توجهاً عميقاً(انظر مسرحية: سميرة و حمدى).

#### ٤.٤. محب الحرية

فى الجانب الآخر من شاطئ العلاقات الانسانية، عرف/الحكيم معنى الحرية، لأنه رجل الفكر الحر و الحرية الفكرية، فتح عينيه، منذ فتحتها على الحرية، و لمس أثرها فى التطور الاوروبى، و عرف فضلها على انتفاضة الشعوب الراقية، فأمن بها على أنها رفعة للعقل البشرى لاينمو آلا فى رحابها و لا تتفتح طاقاته آلا فى اجوائها. و لايمضى فى بنيانه الحضارى الا تحت لوائها لقد آمن بها ايماناً عميقاً، و اعتنقها مذهباً، و نادى بها فى كلِّ

سانحة، و ارادها حرية فكر، و حريه معتقد، و حرية كلام و حرية عمل و تصرف و لباس و قال في ما قال:

«الشعوب الحرة القوية هي في الغالب اوسع الشعوب صدراً و عقلاً... الشعوب الضعيفة تتوهم دائماً ان حريتها، او قوميتها، او عبقريتها، ستخلع منها و تذهب عنها بلفظ أو بكلمة او رأى، فهي تنفعل و ترتعد و ترتاب لمجرد المظاهر و الالفاظ و الكلمات... و العلاج هو حرية الكلام حتى يألف الناس الالفاظ، و لا يرتاعوا من الكلمات، و حرية الفكر و العمل و التصرفات... حتى يعتاد كل فرد احترام رأى الآخر و عمله و تصرفه، دون ان يكون مضطراً إلى اتباعه» (الفاخوري، ٢٠٠٥: ٣٩٩).

يخلق الانسان لنفسه قيماً ذاتية، يستمدّها من احلامه و اهوائه و سرعان ما تتبلور قيماً موضوعية باحتكاكها مع التجربة الاجتماعية المباشرة و قد كان الفن بما أحاط /الحكيم في طفولته من مظاهر بدائية له. كانت الحرية هي الشعار الاساسي لتوفيق الحكيم و هو يهتف في حياته دائماً و هذه الفكرة التي تنشئ من بدء طفولته، اشتدت من الثورة الشعبية عام ١٩١٩م. حينذاك ألف /الحكيم الأناشيد و الالحن و شارك بها في مظاهرات الطلبة التي التحمت بجماهير الشعب من عمّال و فلاحين و تجّار و مثقفين. و الحرية عند الفنان المفكر ان يعتصر من كيان الثورة و وقودها رماداً هادئاً قابلاً للكشف و الاختبار. لذلك «عودة الروح» هي قصة الحرية التي عاش لها /الحكيم بكل ما يمتلك من خلجات الفنان و اعصاب المفكر (غالي، ٢٠٠٦: ٣٦).

إن الممثل في هذه القصة هو محسن و في فحواها يتحدّث عن ضرورة ظهور زعيم للمصريين، يستطيع توحيد صفوفهم و دفعهم نحو النضال في سبيل الحرية و البعث الوطني (انظر إلى عودة الروح).

## ٥.المعتقد بالروح الشرقية

امعن توفيق الحكيم إلى الروح الشرقية و من الروح الشرقية إلى التراث المصري، فيحاول أن يبعثه على أنّه من أهم ينباع الروح و الفكر في الحضارة الشرقية و العالمية. كانت الفكرة المصرية تلعب في حياة /الحكيم دوراً هاماً. فيجب علينا أن نعرف اسس

التفكير الفلسفى عند *الحكيم*، حتى نستطيع ان نرى البذور التى أثمرت فى آثاره هذا الوهج الإنسانى.

يقول *توفيق الحكيم* فى كتابه «تحت شمس الفكر»:

«إنى دائماً أؤمن بأن مصر لا يمكن ان تموت و لقد فازت مصر ببغيتها، و كلما ظن الموت انه انتصر، قام حوريس من ابنائها يصيح انهض، انهض، ايها الوطن، ان لك قلبك، قلبك الحقيقى دائماً... قلبك الماضى و اذا الموت يتراجع امام صوت عدو من اعماق الوطن: انى حى ... انى حى» (غالى، ٢٠٠٦: ٢٠٩).

تلك هى خامة الفكر المصرية عند *توفيق الحكيم* التى تأثرت بالمنابع الشرقية، اذ أنه قد استمد اغلب اعماله من ثقافته الشرقية. مثلاً فى قصة «عصفور من الشرق» يتحدث عن تضاد ثقافتى الشرق و الغرب و يعتقد بأن الثقافة الغربية هى الثقافة المادية لا روح لها و هى مهلكة. ولكن الثقافة الشرقية هى الثقافة المعنوية، الانسانية و الدينية و فحواها الصراع بين هاتين الثقافتين (الشاذلى، ١٩٨٥: ٢٧٩-٢٦٩؛ انظر: عصفور من الشرق). تناول القصة فى اسلوب روايى جميل، علاقة عاطفية تجسد الصدام الثقافى بين الشرق بعاطفيته و روحانيته و الغرب بصلافته و ماديته.

*توفيق الحكيم* يؤمن بالحياة الشرقية و ينادى بتقوية كتلة الروح الشرقية امام كتلة الروح الغربية، و فى قصة «عودة الروح» يحوك *الاستاذ الحكيم* تاريخ حياته فى الطفولة و الصبا فى قالب قصصى، فيجلى شخص والده فى شخص حامد بك *العطيفى* و شخص محبوبته فى سنية و شخصه فى محسن و منهج *الحكيم* فى ادماج حياته و تاريخه فى القصة تذكرنا بمحاولة *يفان بونين* الفنان الروسى فى قصة «*ارسنيف*» و محاولة *ديكنز* و *بلزك*، اولئك الذين ادمجوا حياتهم و تاريخهم فى هذه القصص.

و فحوى هذه القصة، الثورة المصرية و الوفاق على حب كبير، حب مصر (ادهم، ١٩٤٥: ١٢٨-١٢٦؛ انظر: عودة الروح) و اظهر *الاستاذ الحكيم* هذه القصة الطويلة تكملة لقصة «عصفور من الشرق» و الموضوع فيهما متشابه تقريباً و شابنا البطل فى هاتين القصتين هو محسن المملوء من الروح الشرقية و ثقافتها و هو يهتف بالحريه و السلم و العدالة دائماً.

## ٦. المفكر

ان للفكر عند توفيق الحكيم مكانة رفيعة، حيث يقول: «انى لا اقدس شيئاً و لا احترم احداً و لا انظر بعين الجد الا إلى امر واحد: الفكر. لانه هو النور اللامع فى قمة هرم ذى اركان اربعة، الجمال و الخير و الحق و الحرية. هذا الهرم هو وحده الشئ الثابت فى وجودى».

لذا ادب الحكيم هو هرم فكريّ يقوم على اركان اربعة هى الجمال و الخير و الحق و الحرية (الفاخورى، ٢٠٠٥: ٢٠٧: ٤٠٧).

هذه الرؤية تتجلى فى اكثر آثاره منها «الانتصار الخالد» الذى هو حوار قصصى مهدى من المؤلف إلى اهل الترويج محبى الجمال و الحرية و مهدى إلى الشعب اليونانى منبع الفكر و الخير و الديمقراطية. و اهداه المؤلف ايضاً إلى كل شعب يسعى و يجاهد فى سبيل استرداد مطرقة الفضيلة رمز القوة المعنوية و الحيوية و الروحية. و فحوى الحوار أن الحكمة العليا للوجود لا يمكن ان تمنح الانتصار الخالد لغير الجمال و الحب و الحرية.

يطرح الحكيم تساؤلاً يتضمن مفهوم المسرحية و مغزاها «هل فى الامكان حقاً ان يمحق الانسانية ظلام بعد هذا الشوط الذى قطعته فى سبيل النور؟ هل تخرج الإنسانية من النهار إلى الليل؟ و من النور إلى الظلام؟ ثم تعود من الليل إلى النهار و من الظلام إلى النور؟ و هكذا إلى نهاية الدهور؟ (الدالى، ١٩٨٩: ٥٤).

هكذا اتجه الحكيم إلى هرم فكريّ ايضاً فى «راهب الفكر»، «سلطان الظلام»، «حمارى قال لى» و «حمار الحكيم» و غيرها التى هى امثال عالية من رؤيته فى هذا المشهد الإنسانى البديع.

إن الانسان المثالى عند الحكيم ذو ملكة عجيبة تسمى العقل و هذا الانسان بواسطة هذه الملكة الدائمة التيقظ تمنعه من الزلل و الوقوع فى المحذور، يسعى لإعطاء كل ذى حق من القوى حقه و وضعه فى موضعه الذى ينبغى له (الحكيم، ٢٠١٠: ٥٢) و الانسان المثالى فى هذه الآثار، انسان مفكر و محب للجمال و الحب و الخير و الحرية.

## نتيجة البحث

ان معرفة الانسان بصورة عامة و الانسان المثالى بوجه خاص من اهم القضايا و بسبب هذه الاهميه اهتم توفيق بهذه المسألة اهتماماً استثنائياً حيث لعبت هذه الرؤية دوراً اساسياً فى ادبه. فحاول ان يستخدم ادبه وسيله الى غايات و اهداف انسانيه.

توفيق الحكيم لم ينس ابدأ نشر الفضائل الاخلاقية و تبليغها و الهجمة العنيفة على الرذائل القائمة فى المجتمع الإنسانى و ادبه يعد مرآة صادقة لشخصيته من جهة و للواقع الاجتماعى الذى عاش فيه من جهة ثانية. معانيه الخلقية ممتزجة بحياته النفيسة و حياته هذه مرتبطة باشكاله الادبية. ان عامل الالتزام بالمسائل الانسانية نابع من عقيدته الدينية و ايمانه العميق بالهوية الاسلامية. اننا نكاد نلمح صور الانسان المثالى فى جميع آثاره لا سيما فى الواحداية، التعادلية، الحرية، الاعتقاد بالروح الشرقية و العقل. ان موضوع الانسان الكامل و المثالى فى آثار توفيق الحكيم، يمكن ان تعد اطروحة قيمة تخدم اللغة و الادب و تكشف اللثام عن هذه الشخصية العلمية الغذة فى جميع آفاقها.

## المصادر و المراجع

### القرآن الكريم.

- أبوعوف، عبدالرحمن. ٢٠٠٩. **توفيق الحكيم بين عودة الروح و عودة الوعي**، مكتبه الأسرة. أدهم، اسماعيل و ابراهيم ناجي. ١٩٤٥. **توفيق الحكيم**. القاهرة: دارسعد.
- الحكيم ، توفيق ، ٢٠١٠. **ارنى الله**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ٢٠٠٥. **الطعام لكل الفم**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ٢٠٠٦. **عودة الروح**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ٢٠٠٨. **التعادلية مع الاسلام**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ٢٠٠٨. **عصفور من الشرق**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ٢٠٠٨. **عهد الشيطان**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ٢٠٠٨. **مجلس العدل**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ٢٠١٠. **محمد**. القاهرة: دارالشروق.
- \_\_\_\_\_ . ١٩٨٤. **اهل الكهف**. بيروت: دارالكتب اللبناني.
- \_\_\_\_\_ . لا تا. **شهرزاد**. القاهرة: دارالشروق.
- حمو، حورية محمد. ١٩٩٩. **تأصيل العربى بين التنظير و التطبيق فى سورية و مصر**. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الدالى، محمدحسين. ١٩٨٩. **عملاق الادب توفيق الحكيم**. القاهرة: دارالمعارف.
- زغلول الاسلام ، محمد. لا تا. **دراسات فى القصة العربية الحديثة**. الاسكندرية: دارالمعارف.
- الشاذلى، عبدالسلام محمد. ١٩٨٥. **شخصيته المثقف فى الرواية العربية الحديثة**. لبنان: دار الحداثة.
- شكرى، غالى. ١٩٨٠. **معنى المأساة فى الرواية العربية**. بيروت: دارالآفاق.
- ضيف، شوقى. لا تا. **الادب العربى المعاصر فى مصر**. القاهرة: دارالمعارف.
- الفاخورى، حنا. ٢٠٠٥. **الجامع فى تاريخ الأدب العربى**. بيروت: دارالجيل.

### المقالات

- دهدارى، ميسا. ١٣٩١. **«الانسان فى ادب ميخائيل نعيمة»**. فصلية الأدب المعاصر. جامعة آزاد الإسلامية جيرفت. السنة ٤. العدد ١٣. صص ١٠٥-١٠٧.
- صالح بك، مجيد و فريد قادرى. دى ١٣٩٠. **«دراسة عناصر البناء فى رواية «يوميات نائب فى الأرياف»**. فصلية دراسات الأدب المعاصر. جامعة آزاد الإسلامية جيرفت. السنة ٣. العدد ١٢. صص ٤٢-٥٨.